حكاية سكّان الجدران

مي أحمد غريب ـ نسمه جمال

إنهم يعيشون داخل الجدران، هم كثر والمكان ضيق لكنهم اعتادوا الأمر حتى صار طبيعيًا جدًا، طبيعيًا كسكناهم للجدران.

كائنات أحادية البعد هي، تتحرك عرضيًا إلى اليمين، وتعود إلى الوراء عرضيًا أيضًا إذا ما رغبت في الذهاب إلى اليسار، لا يراهم الناس، لكنهم يرونهم، يبدون كالظلال، لكنهم ليسوا بظلال، هم سكّان الجدران ولديهم هواية غريبة إذا ما اعتبرنا أن العاديّ بالنسبة إلينا سيبدو غريبًا لكائنات لا نراهم ولا نعي بوجودهم بخلافهم، هم يحبون القراءة؛ ولهذا يكتظ ذلك الجدار خلف المكتبة الصغيرة بهم حتى يبدو للرائي -إن رآهم- كموظفين يستقلون حافلة عامة وقت الذروة.

يحبون قراءة الكتب جميعها: الفلسفة؛ التاريخ، الحب، الأمراض النفسية، الأماكن البعيدة منها والقريبة، الفضاء، وعن الكائنات التي لا تراها أعيننا لكنها هناك.

حدودهم داخل الجدران وليس لهم أن يتعدوها وقد اتخذوها مسكنهم، يشاركون جدرانهم مع ساكن الشقة الوحيد، يعيش بينها ويعيشون فيها جميعًا في تناغم يحسدون عليه.

يحب الساكن النوم في الظلام الدامس، وهم له شاكرين لأنهم بدونه لا ينامون، كما أن ذلك يساعدهم على التخفي أيضًا لأنهم عند نومهم ينثنون

كالورقة فتخرج رؤوسهم من الجدران، ولولا الظلام الذي يتدثرون به لافْتضح أمرهم!

ويحب الساكن الكتب، وهو يأتِ دائمًا بالجديد منها والغريب، حتى لو كان يضعها جميعًا على أرفف مكتبته الوحيدة؛ فيكتظ ساكني الجدران خلفها، إلا أن ذلك لا يهم في سبيل الكتب التي يشاركونه حبها أيضًا.

وقد كانت حياتهم لتكون رائعة، أروع من ذلك المكان الذي اعتادوا العيش فيه من قبل لكن لا يذكرون عنه شيئًا لأنهم لا يحبون تذكره بأي حال، لولا تلك المشكلة الصغيرة سكّان الجدران لهم من الأصابع أربع، وبها يمسكون الكتاب، ويتمنون لو كان لهم إصبع خامس يمكّنهم من تقليب الصفحات لقراءة المزيد، لبدء الكتاب من بدايته والانتهاء عند النهاية فقط!

ولأنهم كثر، ولأن أصابعهم الأربع لا تمكّنهم من حمل الكتب جيدًا أحيانا يسقط منهم كتاب أو اثنين، وربما ثلاث أو أربع، وعندما يعود ساكن الشقة من الخارج يجد الكتب وقد سقطت على الأرض، فيَرتبك ويعيد تفقد الأرفف ويُرجع الكتب إلى مكانها ثم يمضي.

-آه لو كان لديهم إصبعه الخامس!

ثم تغير كل شيء؛ في يوم عاد ساكن الشقة من الخارج، وجد الكتب ملقاة كالعادة على الأرض، ويبدو أنه اعتاد الأمر فلم يعد يتفقد الأرفف، انحنى والتقط الكتب، ثم بروتينية أعادها في أماكنها، إلا أنه شد انتباهه شيء ما على الجدار! أخذ يتأمل بقعة ما وقد قرّب وجهه من الجدار حتى كادت أنفه تلامسه، وبدون أن يقصد وبدون أن يقصد الكائن الواقف أمامه تمامًا، تلاقت أعينهما!

لم ير ساكن الشقة عين الكائن، لكن الكائن رآى عينيه، وهنا شعر الكائن بشيء غريب، لسعة خفيفة في يده الواحدة، وعندما رفع يده ليرى وجد أنه نما في كفه إصبع خامس!

ما أن استدار ساكن الشقة ومضى حتى تناول الكائن كتابًا، وتمكّن من تقليب الصفحات ومعرفة المزيد عما يدور داخل الكتاب!

كان حدثًا جللًا، قد اجتمع حوله رفقاؤه فأخذ يحكي لهم ما جرى!

هجم الجميع على الكتبِ يأخذونها ثم يلقونها على الأرض في محاولةٍ للفتِ انتباه ساكن الشقة كي يعود ويرجع الكتب إلى الأرفف ولربما تحدث المعجزة، وتتلاقى عيناه بعين أحدهم فينبت لهم إصبعًا خامسًا!

نفّذوا خطتهم، وعاد ساكن الشقة إلى الجدار المثبّت عليه أرفف الكتب، وما أن رأى كل الكتب ملقاة على الأرض حتى رحل متعجلا بعض الشيء!

وهم الآن في انتظار عودته حتى تتلاقى أعينهم مع عينيه، حتى يغلق النور فيمكنهم أن يناموا، حتى يعيد الكتب إلى الأرفف فيمكنهم على الأقل قراءة صفحة من أي كتاب ولو لم يعرفوا ماذا حدث قبلها، أو ماذا حدث بعدها؟